

الدراسات السابقة

يهتم الفصل الراهن باستعراض أهم الدراسات السابقة المتصلة بموضوع الدراسة الحالية . وقد أمكن من خلال مراجعتنا لمجلة الملخصات النفسية^(١) ، فى الفترة من عام ١٩٨٠ حتى عام ٢٠٠١ ، تقسيم الدراسات السابقة المتصلة بموضوع الدراسة الحالية إلى ثلاث فئات أساسية ، على النحو التالى :

١ - الدراسات التى تناولت دور المتغيرات المعدلة المرتبطة بالبيئة الخارجية فى تعديل العلاقة ، بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة .

٢ - الدراسات التى تناولت دور المتغيرات المعدلة المرتبطة بالفرد فى العلاقة ، بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة .

٣ - الدراسات التى تناولت تقدير الذات كمتغير معدل للعلاقة ، بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة .

وإذا كان النوع الثالث من الدراسات هو الذى يرتبط بشكل مباشر بدراستنا الحالية ، فإن النوعين الآخرين يفيدان فى إبراز الصورة الكاملة للدراسات ، التى تتناول دور المتغيرات المعدلة بصفة عامة ، فى العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها

(1) psychological Abstracts.

المختلفة ، وهذا من شأنه أن يسهم فى مزيد من فهم ديناميات العلاقة ، وهو جزء من أهداف الدراسة الحالية .

كما نريد تأكيد أننا لم نقصد من تقسيم الدراسات أن نقيم فصلا بينها ، ففى الأنواع الثلاثة يفترض أن الفرد هو الذى يحدد التأثير المعدل ، سواء بشكل مباشر من خلال سماته الشخصية وأساليب المواجهة ... إلخ ، أم بشكل غير مباشر ، من خلال إدراكه لطبيعة الحدث ، أو للمساندة الاجتماعية من الآخرين إلخ ، أم بشكل غير مباشر ، من خلال إدراكه لطبيعة الحدث ، أو للمساندة الاجتماعية من الآخرين ... إلخ . والفارق بينهما أن النوع الأول من الدراسات يركز على المتغيرات الخارجية ، ولكن إن لم يدركها الفرد ، تصبح عديمة القيمة - هذا على الأقل من وجهة نظرنا - فعلى سبيل المثال : يشير بعض الباحثين إلى أن إدراك المساندة الاجتماعية (متغير خاص بالبيئة الخارجية) ، غير مستقل عن تقدير الذات (متغير خاص بالفرد) ، فإذا شعر الفرد بالتحكم ، وتقدير الذات ، سيزيد احتمال شعوره بأن الآخرين يقيمونه تقييما جيدا (Husaini and Frank, 1985) .

يعنى هذا : استحالة فصل المتغيرات الخارجية عن المتغيرات الشخصية إلا لأغراض الدراسة فقط ، بل قد يمكننا القول أن تلك المتغيرات الخارجية لا تؤثر على العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها إلا إذا أدرك الفرد وجودها ، كما أن مدى تأثيرها عليه ، يتوقف على سماته الشخصية وتقييمه لها .

وقبل الدخول فى استعراض الفئات الثلاث من الدراسات ، تجدر الإشارة إلى أننا حرصنا على تضمين الفصل الحالى : الدراسات التى تناولت المتغيرات المعدلة للعلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة ، سواء أكانت أعراضا نفسية ، أم

أمراضاً^(*) نفسية ، أم تعاطيا للمواد النفسية ، ولم نكتف بتلك الدراسات التي تناولت العلاقة بين الأحداث الشاقة والتعاطى فحسب ؛ نظرا لأن تلك النواتج تمثل جميعها الاستجابات الفاشلة أو غير المتوافقة للأحداث الشاقة ، وبالتالي لا يمكننا إغفالها ، وربما يكون المرض أحد أنماط الاستجابة التي تختلف باختلاف الجنس ؛ إذ يشير البعض إلى أن استجابة الإناث للمشقة تكون بالوقوع فى المرض ، بينما يلجأ الذكور إلى تعاطى المواد النفسية المختلفة استجابة للأحداث الشاقة (Aneshensel, Rutter, and Lachenbruch, 1991) ، أو ربما يكون المرض مرحلة مبكرة للتعاطى ، أو قد يكون مرحلة متأخرة له ؛ إذ يشير كل من «راهى» و«آرثر» R. Rahy and R. Arthur إلى تحول أحداث الحياة - من خلال الاستجابات السلوكية - إلى ردود أفعال بيولوجية ، تسهم فى الإصابة بالمرض ، وتشتمل تلك الاستجابات السلوكية على : تدخين السجائر ، وشرب القهوة ، والكحوليات ، كما ترتبط سلبيا بالحالة الصحية الجيدة ، وبالتالي قد تربط بين الأحداث الشاقة والإصابة بالمرض (Conway et al, 1981; Sarafino, 1990, p. 132).

(❖) يلاحظ أننا اقتصرنا فى عرضنا على الدراسات ، التى تناولت النواتج النفسية فقط ، فى مقابل الأمراض الجسمية ، وتقع هذه الأخيرة خارج نطاق اهتمامنا .

١ - الدراسات التى تناولت دور المتغيرات المعدلة المرتبطة بالبيئة الخارجية فى تعديل العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة

تنطلق الدراسات التى تتناول متغيرات معدلة ، عند دراسة العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها ، من الملاحظة المتكررة لوجود ارتباط منخفض -وإن كان جوهريا- بين أحداث الحياة الشاقة والأعراض الجسمية والنفسية (Kobassa and Puccetti, 1983).

وعلى الرغم من وجود علاقة راسخة بين أحداث الحياة الشاقة ، وسوء التوافق ، فلم تفسر تلك الأحداث سوى مقدار متواضع من التباين ؛ مما يشير إلى أهمية المتغيرات الأخرى (الشخصية والاجتماعية الخارجية) ، التى قد تعدل تلك العلاقة (Windle and Windle, 1996).

وباستعراض التراث المتعلق بدراسات المشقة ، وبصفة خاصة الدراسات التى تناولت دور المتغيرات المعدلة الخارجية ، أو الاجتماعية فى العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة ، وجدنا أن أهم المتغيرات المعدلة التى تمت دراستها هى : المساندة الاجتماعية^(١) ، وأحداث الحياة الإيجابية^(٢) . وإن كانت الأهمية التى منحت للمساندة الاجتماعية أكبر بكثير ، عند مقارنتها بأحداث الحياة الإيجابية .

(أ) المساندة الاجتماعية

لاقت المساندة الاجتماعية الاهتمام الأكبر من قبل الباحثين - كما أشار «كوهين» وآخرون - عبر جميع المتغيرات المعدلة الأخرى ، التى تمت دراستها فى هذا الصدد (Cohen and Hoberman, 1983; Fernandez and Mutran, 1998; Husaini and Frank, 1985; Menaghan, 1990).

(1) social support.

(2) positive life events.

وأشار «ترنر» R. Turner إلى وجود ارتباط شديد بين حالة الرضا العامة لدى الشخص وكل من : وجود المساندة الاجتماعية ، ونوعية تلك المساندة . ووفقا لـ «كابلان» G. Caplan تعمل أشكال المساندة الاجتماعية المختلفة على منح الفرد الدعم الوجداني ، والمساعدة على حل المهام العملية الصعبة ، والتوجيه أو الإرشاد ، والدعم المادي (Husaini and Frank, 1985) .

وعلى الرغم من تأييد نتائج البحوث بصفة عامة ، لوجود ارتباط دال بين أحداث الحياة الشاقة والشعور بالحزن ، وتأيدها كذلك لكون الأفراد الذين يتمتعون بالمساندة الاجتماعية يبدون أعراضا أقل من الحزن ، فإن العلاقة بين هذه المتغيرات الثلاثة : أحداث الحياة ، والمساندة الاجتماعية ، والحزن ؛ ليست واضحة بالقدر الكافي (Fernandez and Mutran, 1998; Husaini and Frank, 1985) .

وقد يرجع عدم الوضوح إلى عدم الاتفاق على تعريف مفهوم المساندة الاجتماعية وكيفية قياسه (Husaini and Frank, 1985) .

فقد استخدمت مقاييس شبكة العلاقات الاجتماعية⁽¹⁾ ، للإشارة إلى مستوى المساندة الاجتماعية ، فى عدد من الدراسات المبكرة ، التى تناولت دور المساندة كمغير معدل للعلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة . ويفترض هذا المنحى فى القياس عددا من المسلمات ، منها :

(أ) تتناسب الفائدة التى تعود على الفرد من شبكة العلاقات الاجتماعية مباشرة مع حجم ومدى اتساع هذه الشبكة .

(ب) مجرد وجود علاقة اجتماعية يعنى الحصول على مساندة من تلك العلاقة .

(1) social network.

وبالتالى تأتى نتائج معظم الدراسات التى تتبنى هذا المنحى ، على أحسن فرض ، مختلطة . وهى نتائج متوقعة فى ضوء الضعف الواضح الذى يسم افتراضات هذا المنحى (Cohen and Hoberman, 1983) .

وفى مقابل هذا المنحى فى القياس ، يشير بعض الباحثين إلى ضرورة استخدام الأدوات التى تقيس إدراك الفرد لوجود المساندة الاجتماعية ؛ فالقياس بهذا الشكل يعد مؤشرا أكثر حساسية لالتقاط التأثير المعدل للمساندة ، مقارنة بالمقاييس الموضوعية ، التى تهتم بمجرد وجود الشبكة الاجتماعية ؛ خاصة وأن الشبكات الاجتماعية هى نفسها قد تكون مصدرا للمشقة ، بحيث تؤدى إلى صراعات بالإضافة إلى كونها مساندة للفرد ، أو بدلا من كونها مساندة له (Ibid.) .

كما تؤكد المناقشات النظرية للدور المعدل للمساندة الاجتماعية ، أهمية القياس متعدد الأبعاد⁽¹⁾ لها ؛ إذ يشير «كوهين» و«ماك كاي» S.Cohen and G. Mckay إلى أن العلاقات الشخصية تعمل فقط كخافض للمشقة ، عندما يتلاءم نمط المساندة الناتج عن هذه العلاقات ، مع متطلبات مواجهة الأحداث الشاقة (Cohen and Hoberman, 1983; Fernandez and Mutran, 1998) .

ومن ثم ، تبدو أهمية قياس كل من متطلبات المواجهة اللازمة عند المرور بأحداث شاقة ، ومصادر المساندة المتاحة ، عند اختبار دور المساندة الاجتماعية (Cohen and Hoberman, 1983) .

وفيما يتعلق بنتائج بعض الدراسات التى أجريت لاختبار دور المساندة الاجتماعية كمتغير معدل ، أجرى كل من «كوهين» و«هوبرمان» دراسة على مجموعة من دارسى علم النفس الاجتماعى بأحد الفصول التمهيديّة بجامعة «أورجون» ، وبعد تطبيق مقاييس أحداث الحياة الشاقة ، والمساندة الاجتماعية ،

(1) multi-dimensional measurement.

ونواتج الأحداث الشاقة : (النفسية والجسمية) ، تبين الآتى : تحمى المساندة الاجتماعية الفرد من الآثار المؤذية للأحداث الشاقة ، سواء تمثلت تلك الآثار فى الأعراض الجسمية أم النفسية ، وهو ما يعنى وجود تأثير معدل للمساندة الاجتماعية (Ibid.) .

أما فيما يتصل بدراسة «كوباسا» و«بوسيتى» ، فقد أجريت على ١٧٠ موظفا تنفيذيا من الذكور ، تراوحت أعمارهم بين ٣٦ و ٦٥ عاما ، بمتوسط عمرى ٤٨ عاما ، وبعد تطبيق مقياس الأحداث الشاقة والمساندة الاجتماعية المدركة فى السياق الأسرى (المنزل) ، بالإضافة إلى مقياس آخر للمساندة فى سياق العمل .. أشارت النتائج إلى ما يلى : تقلل المساندة فى سياق العمل من الآثار السيئة الناتجة عن الدرجات العالية من المشقة ، فى حين لا تقلل المساندة فى السياق الأسرى (المنزل) من الآثار الناتجة عن الدرجات العالية من المشقة ، وهو ما يعنى أن للمساندة الاجتماعية فى العمل - فقط - دورا معدلا للعلاقة بين المشقة ونواتجها السلبية (Kobassa and Puccetti, 1983) .

وقد حاول الباحثان تفسير هذه النتيجة فى ضوء ما سبق أن أشرنا إليه ، ألا وهو التلاؤم بين متطلبات مواجهة المشقة ونوعية المساندة ؛ فوجدا أن طبيعة المشقة التى يخبرها هؤلاء الموظفون تتعلق أساسا بمحل العمل ، وهى التى تسهم بدرجة أكبر فى الشعور بالمشقة مقارنة بأى مجال آخر من مجالات المشقة . وبالتالي ، لتصبح المساندة فاعلة ، يجب أن تتلاءم مع طبيعة المشقة التى يخبرها الفرد ؛ أى أن تكون - فى هذه الحالة - مساندة فى العمل (Ibid.) .

وفى الاتجاه نفسه ، أجرى كل من «فرناندز» و«موتران» ، دراسة أخرى لاختبار دور المساندة الاجتماعية فى العلاقة بين الأحداث الشاقة والأعراض الاكتئابية . ولاختبار هذا الدور ، أجريا دراستهما التتبعية على عينة من ٧٢٨ من الموظفين العاملين بـ «كارولينا» الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية من الذكور والإناث ،

تراوحت أعمارهم بين ٥٨ و ٦٤ عاما ، وأشارت النتائج إلى الآتى : تخفض المساندة الاجتماعية الأعراض الاكتئابية ، ولكنها لا تتفاعل مع الأحداث الشاقة محددة درجة الاكتئاب ؛ أى لا تعدل العلاقة بين الأحداث الشاقة والأعراض الاكتئابية (Fernandez and Mutran, 1998) .

نستخلص من الجزء السابق : أن للمساندة الاجتماعية دورا مهما فى العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة ، وهو يتمثل فى تقليل وطأة تلك الأحداث على الأفراد ، سواء تمثل هذا الدور فى كونه دورا أساسيا - أى أنها تؤثر على نواتج المشقة المختلفة مباشرة - أم تتفاعل مع الأحداث الشاقة وتعدل العلاقة بينها وبين النواتج المختلفة . بالإضافة إلى أهمية إدراك الفرد لوجود تلك المساندة ، فضلا عن نوعية تلك المساندة ، ومدى تلاؤمها مع حاجة الفرد فى المواقف الشاقة المختلفة .

(ب) أحداث الحياة الإيجابية

على الرغم من أن أحداث الحياة السلبية تعد منبئة بعدد من الأعراض النفسية والجسمية ، فلا تعد أحداث الحياة الإيجابية - كما يعتقد البعض - كذلك (Sarafino, 1990, p. 96; Suls and Mullen, 1981) ؛ إذ تعد الأحداث الإيجابية أحد المتغيرات ، التى يمكن أن تعدل العلاقة بين الأحداث الشاقة السلبية ونواتجها المختلفة .

ووفقا لدراسة «لازاروس» و«كانر» و«فولكمان» R. Lazarus, A. Kanner and S. Folkman تعمل أحداث الحياة الإيجابية كمتغير خافض للمشقة ، فإنها ترفع من قدرة الفرد على التوافق مع الأحداث الشاقة ، عن طريق تعميم حالة المشاعر الإيجابية ، كما تعمل مشاعر السعادة والرضا الناتجة عن المرور بتلك الأحداث ؛ على تسهيل عملية مواجهة المشقة عن طريق تقليل وطأة الشعور بالأحداث الشاقة ، أو من خلال الحفاظ على استمرار النشاط الذى يكون الفرد فى حاجة إليه لحل الأزمات ، أو من خلال تجديد الطاقات النفسية المستنفدة أثناء عمليات التوافق مع الأحداث الشاقة (Cohen and Hoberman, 1983) .

وفى إطار الاهتمام بأحداث الحياة الإيجابية كمتغير معدل ، أجرى «كوهين» و«هوبرمان» دراسة على عينة من طلاب الجامعات ؛ لاختبار هذا التأثير فى العلاقة بين أحداث الحياة السلبية الشاقة والأعراض الاكتئابية والجسمية . وأشارت النتائج إلى أن هناك دورا معدلا لأحداث الحياة الإيجابية ، فهى تقى الفرد عند التعرض لمستويات عليا من المشقة ، ولكنها ليست كذلك عند تعرضه لدرجات منخفضة منها (Ibid.).

وتتسق هذه النتائج مع نتائج إحدى الدراسات ، التى تضمنت تدخلا⁽¹⁾ من الباحث ، وفى هذه الدراسة يختبر «ريتش» و«زوترا» J. Reich and A. Zautra ما إذا كانت زيادة عدد أحداث الحياة الإيجابية للأفراد ، تقيهم من الآثار السيئة لتغيرات الحياة السلبية . وأشارت النتائج إلى الآتى : يبدى الأفراد الذين أقرروا أنهم مروا بتغيرات حياة سلبية ، ولكنهم ألحقوا - فى إطار الدراسة - بجماعة تتعرض لاثنى عشر نشاطا يثير السعادة لمدة شهر ، يبدى أفراد هذه المجموعة أعراضا من الأسى النفسى أقل ، مقارنة بمن ألحقوا بجماعة تتعرض لنشاطين اثنين فقط .. أما بالنسبة لمن لم يملأوا بأحداث سلبية من الأساس ، فلم يكن التدخل (الذى تمثل فى أنشطة تثير السعادة) فاعلا بالنسبة لهم (Ibid.).

ونخلص من ذلك : إلى أن هناك قدرا من الاتفاق على أهمية أحداث الحياة الإيجابية فى خفض المشقة الناتجة عن تغيرات الحياة السلبية ؛ وخاصة فى حالة ارتفاع درجة المشقة .

بعد استعراض الجزء الخاص بالمتغيرات الخارجية التى تعدل العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة ، وهى : المساندة الاجتماعية وأحداث الحياة الإيجابية ، ننتقل إلى الجزء الخاص بالدراسات التى تناولت المتغيرات المعدلة الخاصة بالفرد .

(1) intervention study.

٢ - دراسات تناولت دور المتغيرات المعدلة الخاصة بالفرد أساسا (أى متغيرات نفسية) فى العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة .

بالرجوع إلى تراث دراسات المشقة الخاص بالمتغيرات المعدلة المرتبطة بالفرد ، تبين أن أهم المتغيرات التى تم دراستها ، هى : أسلوب مواجهة^(١) المشقة ، وبعض سمات الشخصية ، مثل : الصلابة^(٢) ، ومركز الضبط^(٣) ، وأخيرا التوقعات^(٤) المرتبطة بالمادة النفسية .

(أ) أسلوب مواجهة المشقة

يعرف أسلوب مواجهة المشقة بصفة عامة بأنه المحاولات الواعية لتنظيم المنبهات الشاقة الداخلية والخارجية ، التى يدركها الفرد على أنها تزيد عن الإمكانيات المتاحة لديه . وقد أشار عدد كبير من الباحثين إلى أهمية أسلوب المواجهة ، وتأثيره على المترتبات النفسية والسلوكية للأحداث الشاقة (Sharkansky et al., 2000) .

ووفقا لـ «كومبا» B. Compas تتطابق استجابة الفرد للمشقة مع قدرته على مواجهتها (McCearly and Slavin, 1996) .

وفى هذا الإطار ، اهتم عدد كبير من الباحثين ، على امتداد أكثر من عقد ، بدراسة كيفية مواجهة الأفراد للمشقة ، ووفقا لنتائج عدد من الدراسات ، يعد أسلوب المواجهة مكونا أساسيا فى العلاقة بين خبرات المشقة ونواتجها ، التى قد

(1) coping style.

(2) hardiness.

(3) locus of control.

(4) expectancy.

تتمثل فى انخفاض مستوى الصحة النفسية والجسمية (Oakland and Ostell, 1996)

وفيما يتصل باستراتيجيات المواجهة ، هناك طريقتان أساسيتان لتصنيفها ، الأولى تصنف تلك الاستراتيجيات على أنها تركز على المشكلة^(١) (محاولات التعامل المباشر مع الأحداث الشاقة) أو تركز على الوجدان^(٢) (محاولات التغلب على الأسى الوجدانى الناتج عن الأحداث الشاقة) . أما الطريقة الأخرى .. فتصنف تلك الاستراتيجيات على أنها تعتمد على الاقتراب^(٣) (حل المشكلة مباشرة) ، أو تعتمد على التجنب^(٤) (محاولة تجنب التفكير فى الأحداث الشاقة ، أو التحكم فى المشاعر المرتبطة بها) .

ويرى «شاركنسكى» وآخرون ، أنه على الرغم من وجود تداخل بين طريقتى التصنيف (إذ إن غالبية الأساليب التى تركز على المشكلة ، تقوم أساسا على الاقتراب من المشكلة ، كما أن معظم أساليب المواجهة ، التى تركز على الوجدان تقوم على تجنب التفكير فى المشكلة) ، على الرغم من ذلك فإنهما ليستا متطابقتين تماما ، ويجب الحذر عند مقارنة نتائج الدراسات التى تستخدم أطرا مختلفة للتصنيف (Sharkansky et al., 2000) .

وبالتالى ، يعد إدراك إمكانية التحكم فى المنبه الشاق ، متغيرا حاسما عند دراسة مدى فاعلية أسلوب المواجهة .

(1) problem focused.

(2) emotion focused.

(3) approach-based.

(4) avoidance-based.

وفى هذا الإطار ، اهتم عدد من الدراسات الإمبريقية باختبار ما إذا كانت هناك علاقة بين فاعلية أسلوب المواجهة وطبيعة الحدث الشاق ، من حيث قابليته للتحكم فيه . ووفقا لـ «كولين» وآخرين E. Collins تزيد فاعلية استراتيجيات المواجهة التى تركز على الوجدان ، مقارنة بتلك التى تركز على المشكلة ، وذلك عند الاستجابة للموقف ، الذى يتطلب تقبله كما هو (Bowman and Stern, 1995) .

كما ساندت البحوث الحديثة التى اهتمت بدراسة المشقة فى العمل ، فكرة تباين فاعلية أسلوب المواجهة عبر المنبهات الشاقة المختلفة فى العمل ؛ فوفقا لـ « باراسورامان » و « هانسن » S. Parasuraman and D. Hansen يعد أسلوب المواجهة ، الذى يركز على المشكلة أكثر فاعلية فقط فى حالة إدراك المنبه الشاق على أنه منخفض الشدة (Ibid.) .

وفى إطار الاهتمام بأسلوب المواجهة كمتغير معدل ، تفترض كل من النظرية والبحث ، أن الأفراد الذين يفتقدون بدائل استجابات المواجهة الفاعلة ، يكونون أكثر عرضة للجوء إلى شرب الكحوليات كاستجابة للمواقف الشاقة . فوفقا لنموذج التعلم الاجتماعى ، يخدم شرب الكحوليات كميكانزم عام للمواجهة عند الافتقار للاستجابات الأكثر فاعلية . وقد قدمت دراسات معملية عديدة دلائل متسقة مع هذا المنظور (Cooper et al., 1992) .

نستخلص من الجزء السابق : أن لأسلوب المواجهة أهمية كبيرة ، كمتغير معدل للعلاقة بين المشقة ونواتجها ، وتختلف فاعلية أى أسلوب وفقا لطبيعة المنبه الشاق المطلوب التعامل معه .

(ب) الصلابة

قد يرتفع أو ينخفض التأثير الشاق لأحداث الحياة الشاقة الكبرى ، أو منغصات الحياة الصغرى ، وفقا لتقييم الفرد لها ؛ فربما يميل الأفراد أصحاب أنماط معينة فى

الشخصية إلى تقييم المواقف بطرق تزيد احتمال التعرض للمشقة ، وبالتالي الإصابة بالمرض . وقد تعرض كل من «فريدمان» و«بوثكويلي» Friedman and Boothkewley إلى هذه القضية عن طريق دراسة العلاقة بين المرض وسمات الشخصية . وأشارا إلى أنه على الرغم من غياب دلائل على ارتباط الأمراض المختلفة بسمات شخصية معينة ، فيلاحظ أن هناك شخصيات معرضة للإصابة بالمرض بصفة عامة (Cotton, 1990, p.36) .

ووفقا لـ «كوباسا» S. Kobassa قد تعمل الصلابة ، وهى إحدى سمات الشخصية ، كمصدر للمقاومة الإيجابية للآثار السيئة لأحداث الحياة الشاقة . وتعرف الصلابة بأنها تتكون من ثلاث خصال ، هى : الالتزام^(١) والتحكم^(٢) والتحدى^(٣) (Contrada, 1989; Kobassa and Puccetti, 1983) .

وقد نمت «كوباسا» مفهوم الشخصية الصلبة ، وقامت بعديد من البحوث على الأفراد الذين يستمرون أصحابا وسعداء ، على الرغم من مرورهم بعدد من تغيرات الحياة . وأمكن إطلاق تعبير «مقاومون للمشقة» عليهم .. ففى دراسة على ٦٧٠ من مديرى الشركات ، وجد أن بعضهم قد خبروا مستويات منخفضة من المرض ، على الرغم من مرورهم بمستويات مرتفعة من المشقة . بينما وجد أن البعض الآخر من الذين مروا بمستويات المشقة نفسها ، وقعوا فى درجات عالية الشدة من المرض . ووفقا لهذه الدراسة ، تعتمد المقاومة النفسية للمشقة على أسلوب الأفراد فى الحياة . وهناك ثلاث خصال تم تحديدها على أنها على درجة كبيرة من الأهمية ، وتمثل تلك الخصال المكونات الثلاثة للصلابة (Palmer, 1996, p. 536) .

(1) commitment.

(2) control.

(3) challenge.

والمقصود بالالتزام أن يكون للفرد هدف واتجاه ، وأن يعرف سبب اختيار هذا الهدف ، وأن ينغمس فى تحقيقه ، ومن ثم يحافظ على درجة من التوازن . أما التحكم فهو الاعتقاد فى القدرة على التأثير على مجريات الحياة ، والشعور بالمسئولية عن الأشياء التى تحدث فى الحياة الخاصة ، ورفض عزو الأحداث للقدر ، والمقصود بالتحدى هو الاعتقاد فى أن التغير هو الشكل الطبيعى للحياة (Palmer, 1996, p. 536; Powell and Enright, 1990, p. 14).

ويميل الشخص الصلب إلى القيام بعمل تقييمات معرفية متفائلة واستجابات حاسمة ، وبالتالي تحويل الأحداث الشاقة إلى أشكال أقل وطأة من حيث درجة المشقة التى يجربها (Kobassa and Puccetti, 1983) .
وقد أكد عدد من الدراسات الدور المعدل للصلابة فى العلاقة بين المشقة ونواتجها (Kobassa, 1979; Kobassa and Puccetti, 1983) .

(ج) مركز الضبط

طور «روتر» J. B. Rotter مفهوم مركز الضبط عام ١٩٦٠ ، وهو يركز على مقدار التحكم الذى يعتقد الفرد أنه يتمتع به عبر المواقف ؛ فيعتقد الأفراد ذوو الضبط الخارجى أن لديهم تأثيرا محدودا على الأحداث ، بينما يعتقد ذوو الضبط الداخلى أن لديهم تأثيرا كبيرا على الأحداث ، وينظر إلى المفهوم على أنه يقع على متصل ، وليس ثنائى القطب (Palmer, 1996, p. 533) .

ويعد مركز الضبط من أكثر المتغيرات التى اهتم بها الباحثون فى إطار بحوث المشقة .. ووفقا لـ «جونسون» و«ساراسون» J. Johnson and I. Sarason يبدى طلاب الجامعة ذوو المركز الداخلى للضبط ، ارتباطا منخفضا بين أحداث الحياة الشاقة والأعراض السيكاثرية المرضية (القلق والاكتئاب) ، مقارنة بـ ذوو المركز الخارجى للضبط ، الذين يبدون ارتباطا مرتفعا بين تلك الأحداث والأعراض السيكاثرية . وباستخدام مقاييس أخرى للضبط ، غير ما تم استخدامه فى الدراسة

السابقة ، أشار كل من «للكورت» H. Lefcourt و«كوباسا» إلى النتائج نفسها ؛ إذ يؤكدان أهمية الضبط الداخلى فى المواجهة الفاعلة لعدد من منبهات الحياة الشاقة (Kobassa, 1979; Kobassa and Puccetti, 1983).

(د) التوقعات المرتبطة بالمادة النفسية

يختص هذا المتغير - بطبيعته - بتعديل العلاقة بين الأحداث الشاقة واللجوء إلى تعاطى المواد النفسية المختلفة ، وهو بالتالى يختلف عما سبق من متغيرات قد تعدل بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة سواء كانت مرضا أم أعراضا نفسية أم تعاطيا .

تشير معظم الدراسات إلى وجود علاقة بين الأحداث الشاقة وارتفاع معدلات شرب الكحوليات ، فقد يلجأ البعض إلى شرب الكحوليات أو تعاطى المواد النفسية الأخرى ، كوسيلة لمواجهة المشقة (سوف وآخرون ، ١٩٩١ ؛ Sarafino, ١٩٩٤ ; 131, p. 1990) .

ولكن يبدو أن هناك عوامل أخرى ، تتدخل وتعديل فى قوة العلاقة بين الأحداث الشاقة وشرب الكحوليات (Cooper et al., 1990; Cooper et al., 1992) .

وتعد التوقعات المتصلة بالمادة النفسية : (سجائر وكحوليات ومخدرات طبيعية وأدوية نفسية) إحدى المتغيرات المعدلة للعلاقة بين المشقة والسعى للتعاطى .

ووفقا لنموذج التعلم الاجتماعى المعرفى ، يؤدى الاعتقاد الإيجابى فى تأثير شرب الكحوليات إلى استهداف الفرد للشرب إذا ما تعرض لأحداث شاقة . والمفترض أن الاعتقاد الإيجابى بأن المادة النفسية تحسن المشاعر السلبية ، يجب أن يسبق الإقدام عليها بهدف تنظيم تلك المشاعر .. وبالتالى تعدل مثل هذه المعتقدات الإيجابية العلاقة بين المشقة وشرب الكحوليات (Cooper et al., 1992) .

وقد أجرى «ماك كيرنان» و«بترسون» دراسة عن دور التوقعات المرتبطة بالمادة النفسية كمتغير معدل للعلاقة بين المشقة وشرب الكحوليات ، وساندت النتائج وجود دور للتوقع كمتغير معدل فى تلك العلاقة (McKirnan and Peterson, 1988).

وفى الاتجاه نفسه جاءت نتائج دراسة «كوبر» وزملائه ، التى أجريت على عينة عشوائية مكونة من ١٣١٦ من الراشدين البيض والسود ، إذ تزيد قوة العلاقة بين الأحداث الشاقة واللجوء إلى شرب الكحوليات ، مع ارتفاع التوقعات الإيجابية تجاه الشرب (Cooper et al., 1992) .

عرضنا فى الفقرات السابقة للمتغيرات المعدلة : (الخارجية والداخلية) التى تعدل العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة ، وإن كانت لا تمثل سوى عينة مما يمكن أن يؤثر فى تلك العلاقة.. فعلى سبيل المثال : هناك متغيرات فسيولوجية. مثل : كفاءة الجهاز المناعى للفرد^(١) ، والتاريخ المرضى للأسرة ، والمصادر الاجتماعية ، مثل : كون الفرد متزوجاً أو غير متزوج ، والحصول على دخل مرتفع فى مقابل الدخل المنخفض ، وبعض سمات الشخصيات مثل : روح الدعابة^(٢) (Abel, 1998)، والتفاؤل (Adler, 1994) ، ونمط الشخصية (أ)^(٣) (Smith, 1993) ... إلخ .

وفى إطار استكمال عرض الدراسات التى اهتمت بتناول الدور المعدل للمتغيرات ، يهتم الجزء التالى بالدراسات ذات الصلة المباشرة بدراستنا الحالية ، وهى تلك الدراسات ، التى اهتمت بشكل أساسى بتقدير الذات كمتغير معدل للعلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة .

(1) immunological system.

(2) sense of humor.

(3) Type A personality.

٣ - دراسات تناولت تقدير الذات كمتغير معدل للعلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها .

فى هذا الجزء من العرض سينصب اهتمامنا على الدراسات التى عنت فى الأساس بدراسة دور تقدير الذات المعدل للعلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة .. وهو ما يعنى أننا لن نتطرق إلى الدراسات ، التى تناولت فقط العلاقة الارتباطية بين المشقة وتقدير الذات (Abouserie, 1994; Johnson *et al.*, 1986; Youngs and Rathge, 1998) ، أو التى تناولت الدور الوسيط^(١) (*) له (Newcomb and Harlow, 1986) ؛ إذ يقع هذان النوعان خارج نطاق اهتمامنا فى هذا الفصل .

وفى إطار العرض المفصل للدراسات التى تناولت الدور المعدل لتقدير الذات بين المشقة ونواتجها ، تنطلق دراسة « كرونكيت » و« موسى » Cronkite and Moos ، من أن مجال البحث فى العلاقة بين الأحداث الشاقة والأعراض المرضية الجسمية أو النفسية ، ما يزال فى حاجة إلى مزيد من المعلومات .. ومن بين أهم الجوانب التى ما تزال فى حاجة إلى الدراسة ، تلك المتغيرات المعدلة ، والمدى الذى تسهم به متغيرات مثل الرصيد الاجتماعى^(٢) ، وأساليب المواجهة ، فى تغيير العلاقة (سواء بالارتفاع أم الانخفاض) بين المشقة والمرض . وسعياً نحو إضافة مزيد من المعلومات فى هذه الجزئية .. أجريت تلك الدراسة بهدف استكشاف العلاقة بين العوامل الممهدة ، والمشقة ، والعوامل المعدلة ، والأداء التالى للمرور بالأحداث الشاقة (Cronkite and Moos, 1984) .

(1) mediating.

(*) على الرغم من الاختلاف الواضح بين الدور الوسيط والدور المعدل للمتغير ، فإن بعض علماء النفس ما زال يستخدم المصطلحين بشكل تبادلى (Baron and Kenny, 1986) .

(2) social resource.

والافتراض العام لهذه الدراسة ، أن الأفراد الذين يتمتعون بأرصدة اجتماعية عديدة وجيدة ، يقل شعورهم بالآثار السيئة للمشقة . ووفقا للدراسة يعد تقدير الذات أحد أرصدة المواجهة^(١) ، إذ تتضمن أرصدة المواجهة ، الأرصدة النفسية ، أى الاتجاهات العامة نحو الذات أو العالم ، على سبيل المثال : تقدير الذات أو (الشعور بالاتساق)^(٢) ، الذى يعتمد عليه فى كل من تقييم مشكلات الحياة ، والتعامل معها (Ibid.).

ولاختبار الدور المعدل لتقدير الذات ، أجرى الباحثان دراسة تتبعية على عينة من الأسر : (الزوج والزوجة) بمنطقة «سان فرانسيسكو» ، اشتملت على ٢٦٧ أسرة بمتوسط عمرى ٤٦,٤ عاما ، بانحراف معيارى ١٤,٧ للذكور ، و ٤٣,٧ عاما ، بانحراف معيارى ١٤ للإناث .

أما فيما يتصل بأدوات الدراسة .. فقد كانت على النحو التالى :

- مقياس الصحة والحياة اليومية .
- مقياس البيئة الأسرية .
- مقياس المزاج الاكتئابى والأعراض الجسمية مثل : الأرق والصداع ... إلخ .
- مقياس المشقة : عدد الأحداث الشاقة .
- مقياس تقدير الذات لـ «جو» و«هيلبرن» ، ويتطلب الإجابة عن ٦ بنود أو سمات ، يقيم المبحوث نفسه فيما يتصل بها ، على مقياس متدرج مكون من ٥ نقاط ، يبدأ من «صفر» الذى يعنى أن السمّة لا تنطبق نهائيا حتى «٥» التى تعنى أنها تنطبق

(3) coping resource.

(1) coherence.

تماما ، وتوسطهما درجات متفاوتة من انطباق السمة . وتلك السمات هى : عدوانى^(١) ، وطموح^(٢) ، وواثق^(٣) ، وناجح^(٤) ، ومنطلق^(٥) ، ومنبسط^(٦) .

وبعد تطبيق الأدوات وتحليل النتائج إحصائيا باستخدام معادلات الانحدار المتعدد ، وبإضافة عدد من التحليلات لاختبار التفاعل بين الأحداث الشاقة وتقدير الذات ، أشارت النتائج إلى عدم وجود تأثير معدل لتقدير الذات فى العلاقة ، بين الأحداث الشاقة ونواتجها (Ibid.) .

ويشير الباحثان فى ثنايا مناقشة النتائج ، إلى أهمية تحديد الشروط التى تسمح بظهور التأثير المعدل للمتغيرات المختلفة ، بالإضافة إلى أهمية تحديد المقاييس ، التى تقيس المتغيرات المعدلة تحديدا دقيقا لاستبعاد العوامل المتداخلة^(٧) ، والوصول إلى فهم مشترك للأساليب الملائمة لاختبار دور المتغيرات المعدلة (Ibid.) .

ومن جانبنا ، فى إطار التعليق على هذه الدراسة ، لدينا ملحوظتان : تتعلق الأولى بثبات وصدق مقياس تقدير الذات ، فلم تشر الدراسة إلى أية بيانات خاصة بالشروط السيكومترية للمقياس ؛ خاصة أنه غير معروف ، وفى حدود علمنا ، لم يستخدم فى أية دراسة سابقة اهتمت بقياس تقدير الذات ، وربما ساهم عدم كفاءة المقياس فى العجز عن التقاط الدور المعدل لتقدير الذات .

(2) aggressive.

(3) ambitious.

(4) confident.

(5) successful.

(6) outgoing.

(7) energetic.

(1) confounding .

أما الملاحظة الثانية ... فتتعلق بصغر حجم العينة نسبيا ، بالمقارنة بكل من عدد المتغيرات المدروسة ، والإجراءات الإحصائية المستخدمة .

وفى إطار الدراسات التى تناولت الدور المعدل لتقدير الذات ، أجرى «شامير» Shamir دراسته ، بهدف اختبار دور تقدير الذات كمتغير معدل للعلاقة بين الوضع المهني^(١) ، وحالة الرضا العامة^(٢) . ويتلخص افتراض «شامير» فى الآتى : ترتبط البطالة (عدم العمل) بانخفاض حالة الرضا العامة لدى الأفراد منخفضى تقدير الذات ، بينما يقل تأثير البطالة على حالة الرضا العامة لدى مرتفعى تقدير الذات ، وبالتالي يتوقع أن يعدل تقدير الذات فى العلاقة بين الوضع المهني ومشاعر الاكتئاب والقلق.

وللتحقق من هذا الافتراض أجرى «شامير» دراسته على عينة من الحاصلين على شهادات جامعية ، ومسجلين على أنهم لا يعملون وفقا لبيان وزارة العمل بإسرائيل فى الفترة من سبتمبر ١٩٨٢ ومارس ١٩٨٣ . تراوحت أعمارهم بين ٢٧ و ٤٧ عاما بمتوسط عمرى ٣٤ عاما .. أرسلت الاستخبارات التى تضمنت أدوات الدراسة بالبريد على مرحلتين : الأولى فى الفترة من أبريل إلى مايو ١٩٨٣ ، والثانية فى الفترة من نوفمبر إلى ديسمبر ١٩٨٣ .

تضمنت المقاييس التى تم إرسالها : مقياس روزنبرج لتقدير الذات ، ومقياس القلق من تصميم الباحث لقياس حالة القلق ، ومقياس مشاعر الاكتئاب . ولاختبار الدور المعدل لتقدير الذات ، استخدم تحليل الانحدار المعدل^(٣) ، ويختبر هذا الأسلوب الإحصائي ، ما إذا كان التفاعل بين تقدير الذات والبطالة (المشقة) يقدم

(2) employment status.

(3) well-being.

(1) moderated regression analysis.

إسهاما جوهريا في تبين المتغير التابع (القلق والاكتئاب). وبإجراء هذا التحليل ، أشارت النتائج إلى الآتي : يرفع التفاعل جوهريا من تبين المتغير التابع ، ومعنى هذا أن لتقدير الذات دورا معدلا في العلاقة بين الوضع المهني وحالة الرضا العامة . أما فيما يتعلق بطبيعة هذا الدور ، فالمتوقع أن يتأثر مرتفعو تقدير الذات تأثرا أقل نتيجة البطالة ، مقارنة بمخفضي تقدير الذات . ولاختبار هذا الفرض ، قسمت العينة إلى ٣ مجموعات متساوية ، وفقا لمستوى تقدير الذات ، وتم قياس العلاقة بين الوضع المهني ، والاكتئاب لدى كل مستوى من مستويات تقدير الذات . وبتوضيح العلاقة بالرسم البياني ، أشارت النتائج إلى تحقق الفرض ، فمع انخفاض تقدير الذات ترتفع درجة الاكتئاب في حالة البطالة ، والعكس صحيح ، أي أنه مع ارتفاع تقدير الذات تقل العلاقة بين البطالة والاكتئاب .. ومعنى هذا أن مرتفعي تقدير الذات أكثر مقاومة لتأثير البطالة على الحالة العامة ، مقارنة بالمنخفضين (Shamir, 1986) .

كما أجرى كل من «هوبفول» و«ليبرمان» Hobfoll and Liberman دراستهما لاختبار التأثير المباشر والمستمر لأحد الأحداث الشاقة (الولادة) على السيدات ، والتأثير المعدل لتقدير الذات على استجابتهن لهذا الحدث الشاق . ووفقا للباحثين يعد تقدير الذات أحد الأرصدة الشخصية^(١) المهمة ، التي يفترض أنها تعدل العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها .

وفي هذا الإطار تهدف هذه الدراسة إلى قياس المشقة لدى أربع فئات من السيدات على النحو التالي :

- (أ) السيدات اللاتي ولدن ولادة طبيعية لطفل طبيعي . و(ب) السيدات اللاتي ولدن ولادة مبكرة لطفل ناقص الوزن . و(ج) السيدات اللاتي ولدن ولادة قيصرية . و(د) السيدات اللاتي حدث لهن إجهاض فجائي ؛ للتعرف على كيفية تعديل

(1) personality resources.

حالة الاكتئاب التالية لتلك الأحداث بوساطة تقدير الذات ؛ إذ يمثل الإجهاض الفجائي والولادة القيصرية المشقة الحادة ، وتمثل الولادة المبكرة المشقة المزمنة (Hobfoll and Leiberan, 1987) .

تمت مقابلة السيدات مرتين : الأولى بعد الحدث مباشرة ، لاختبار مواجهة السيدات في البداية ، والثانية بعد مضي ثلاثة أشهر . والافتراض أن تقدير الذات سيرتبط سلبيا بحالة الاكتئاب بعد حدوث الحدث مباشرة ، وبعد مضي ثلاثة أشهر أيضا.

أما فيما يتصل بعينة الدراسة ، فقد اشتملت على ٩٩ سيدة من اليهوديات المتحدثات بالعبرية والمحتجزات بالمستشفى ، في الفترة من يونيو ١٩٨٢ ، و ١٩٨٣ بإسرائيل بمتوسط عمري ٢٨.٠١ عاما (المدى = من ١٧ إلى ٤٠ عاما) ، موزعات على الفئات الأربع التي سبقت الإشارة إليها على النحو التالي : (ولادة طبيعية ن=٢٤ ، ولادة مبكرة ن=٢٨ ، ولادة قيصرية ن=٢٢ ، إجهاض ن=١٩) . تضمنت المقابلة تطبيق الأدوات التالية : استخبار البيانات الديموجرافية ، ومقياس الاكتئاب ، وقائمة لقياس كل من حالة وسمة القلق ، ومقياس روزنبرج لقياس تقدير الذات .

وبعد إجراء المقابلاتين ، تم تحليل النتائج إحصائيا باستخدام تحليل التباين Anova ، ومعاملات ارتباط بيرسون ، وتحليلات الانحدار ، وأشارت النتائج إلى ارتفاع مستوى تقدير الذات ، كما تم قياسه في المقابلة الأولى ، والثانية ، لدى السيدات الأقل اكتئابا ، مقارنة بالأكثر اكتئابا . يعني هذا ، وفقا لنتائج الدراسة ، أن تقدير الذات يعد مصدرا لمواجهة المشقة ، يساعد على المقاومة بعد حدوث الحدث مباشرة ، وبعد مرور ثلاثة أشهر ، سواء كانت المشقة مزمنة أم مائلة للانخفاض (Ibid.) .

ويلاحظ على الدراستين السابقتين أنهما قد اشتملتا على عينة ذات طبيعة مختلفة عن معظم الدراسات التي سبقت الإشارة إليها ، وهي عينة من إسرائيل ، والمقصود

بالاختلاف هنا ، هو اختلاف الإطار الثقافى للعينة ، وقد كنا نعتقد أن الباحثين سيناقشون هذه النقطة بقدر من التفصيل .

وتنطلق دراسة «ويسمان» و«كون» Whisman and Kwon ، من تعارض الدراسات فيما يتعلق بدور تقدير الذات كمتغير معدل للعلاقة بين الأحداث الشاقة والاكئاب أو القلق ؛ إذ يشير عدد من الدراسات التتبعية إلى زيادة احتمال الإصابة بالاكئاب عند التعرض للأحداث الشاقة فى حالة انخفاض تقييم الذات ، وفى المقابل ، ووفقا لعدد آخر من الدراسات ، لا يتنبأ التفاعل بين تقدير الذات والأحداث الشاقة السلبية أو المشقة الأكاديمية ، بتغيرات فى مستوى القلق لدى طلاب الجامعة . ولهذا تهدف هذه الدراسة إلى اختبار طبيعة التأثير المعدل لتقدير الذات فى العلاقة بين أحداث الحياة والتغير فى حالة الاكئاب أو القلق . واشتملت الدراسة على مجموعة من التلاميذ ، ٥٣ من الإناث ، و ٢٧ من الذكور ، بمتوسط عمرى 18.86 ± 1.13 . تم تطبيق مقياس روزنبرج لتقدير الذات ، واستخدمت قائمة «بك» لقياس الاكئاب ، وبالنسبة لقياس الأحداث الشاقة ، استخدمت الدراسة أداة تقدير أحداث الحياة ، وتتكون من ٥٧ بندا ، وهى تتعامل مع عدد الأحداث التى يقيمها الفرد على أنها سلبية ، وتكون قد مرت به خلال الشهور الثلاثة السابقة (أى فى الفترة بين التطبيقين : الأول والثانى) . كما تضمنت الدراسة مقياسا آخر للمشقة ، يقيس منغصات الحياة^(١) ، ويتضمن ٥٣ بندا تغطى عددا من مظاهر الحياة ، التى يكون على المبحوث أن يقيم مدى مضايقتها له خلال اليوم ، على مدرج مكون من ٤ نقاط ، يبدأ من الصفر «لا تحدث» ، وينتهى بـ «تحدث كثيرا» . وكان التطبيق يتم على مرحلتين فى جماعات صغيرة تتكون من ٥ إلى ٣٠ تلميذا ، ويتم تقديم اختبار تقدير الذات واستخبار «بك» للاكئاب فى التطبيق الأول ، ويتم تقديم أداة تقدير

(1) Hassles and Uplifts.

أحداث الحياة ، ومقياس منغصات الحياة الصغرى ، ومقياس بك للاكتئاب فى التطبيق الثانى . ولاختبار دور تقدير الذات كمتغير معدل ، تم إدخال نتائج قياس الاكتئاب فى المقابلة الأولى فى معادلة الانحدار للتنبؤ بالاكتئاب فى المقابلة الثانية ، ثم إدخال تقدير الذات والأحداث الشاقة ، وأخيرا إدخال التفاعل بين تقدير الذات وأحداث الحياة . وأسفرت النتائج عن وجود تأثير معدل لتقدير الذات ؛ إذ جاء التفاعل جوهريا بين تقدير الذات وأحداث الحياة الشاقة فى تأثيرها على التغير فى حالة الاكتئاب . وباختبار طبيعة التفاعل بين تقدير الذات وأحداث الحياة ، أشارت النتائج إلى الآتى : « يزيد تأثير تقدير الذات كمتغير معدل فى حالة انخفاض مستوى المشقة ؛ بمعنى أن الفارق بين منخفضى تقدير الذات والمرفعين ، فيما يتعلق بالاكتئاب الناتج عن درجة عالية من المشقة ، لا يكون كبيرا بالمقارنة بالفارق بينهما ، عند المرور بدرجات منخفضة من المشقة (Whisman and Kwon, 1993) .

وتنفرد هذه الدراسة - فى حدود علمنا - بالتلميح إلى أهمية درجة المشقة المخبرة فى تحديد الدور المعدل لتقدير الذات ؛ «فالتعديل» ليس قضية مطلقة ، ولكن يبدو أنه يتم فى ظل شروط محددة ، وهى نتيجة غاية فى الأهمية . فكما أن العلاقة بين أحداث الحياة ونواتجها ليست مطلقة لوجود متغيرات «تعديل» فيها ، فهناك أيضا متغيرات - إن صح التعبير - «تعديل» فى إمكان التعديل . وقد أشار الباحثان إلى أحد هذه المتغيرات وهو «درجة المشقة» ، والمفترض أن هناك متغيرات أخرى كثيرة ، ويطلق عليها أحيانا الشروط التى فى ظلها يعدل تقدير الذات فى العلاقة . ويلتقى هذا الرأى مع ما أشار إليه «كرونكيت» و «موس» فى دراستهما السابقة ، التى أشرنا إليها فى بداية هذا الجزء من عرض الدراسات ، فقد اقترحا محاولة دراسة الظروف ، التى فى ظلها يمكن أن تقوم المتغيرات المعدلة بدور فى العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة (Cronkite and Moos, 1984) .

وتجدر الإشارة ، إلى أننا سنحاول إبراز هذه النقطة بمزيد من التفصيل عند مناقشة نتائج الدراسة الحالية .

وفى الإطار نفسه تنطلق دراسة «جالاجاس» Jalajas إذ يختبر دور تقدير الذات كمتغير معدل فى العلاقة بين النجاح فى الوظيفة ومقاييس حالة الرضا العامة . وللإجابة عن هذا السؤال أجريت الدراسة الميدانية التتبعية على عينة من ٢٠٥ من الطلاب ، ١٢٨ من الذكور ، و ٧٧ من الإناث بمدى عمرى من ٢٠ إلى ٥٠ عاما (متوسط = 23.4 ± 4.25) . وتضمنت العينة الطلاب الذين أشاروا إلى أنهم كانوا يبحثون عن عمل لمدة عام أو أكثر . وبدأت الدراسة على عينة من ١٠١١ حالة ، تم إرسال الأدوات بالبريد ، قبل حصولهم على الوظيفة ، أرسل ٣٠٣ منهم الرد . وبعد مرور ٣ شهور ، تم تطبيق الأدوات مرة ثانية ، وأرسل الاستجابات ٢٠٥ فقط . وتضمن التطبيق الأول : مقياس روزنبرج لتقدير الذات ، و ٤ مقاييس للحالة العامة ، وهى مقياس الاكتئاب^(١) والقلق^(٢) والشكاوى الجسمية^(٣) والامتعاض^(٤) . وتضمن التطبيق الثانى المقاييس نفسها ، بالإضافة إلى السؤال عن الشعور بالنجاح فى الوظيفة ، وليس النجاح الذى تحقق بشكل موضوعى ، وبإجراء التحليلات الإحصائية ، لم تساند النتائج وجود دور لتقدير الذات كمتغير معدل .. فقد تم تطبيق نموذجين للانحدار لكل متغير من متغيرات حالة الرضا العامة فى النموذج الأول ، ثم انحدار متغير حالة الرضا العامة فى التطبيق الثانى على النجاح فى الوظيفة ، وتقدير الذات فى التطبيق الأول . وفى النموذج الثانى تمت إضافة دور التفاعل بين النجاح

(1) depression.

(2) anxiety.

(3) somatic complaints.

(4) resentment.

فى الوظيفة وتقدير الذات (فى التطبيق الأول) فى النموذج . وتمت مقارنة الارتباطات المتعددة المربعة للنموذجين لتحديد ما إذا كان التفاعل يزيد من جوهرية التباين المحسوب . ولم تشر النتائج إلى وجود فرق جوهري بين النموذج مع إضافة التفاعل أو دون إضافته ، فيما يتعلق بمتغيرات الحالة العامة الأربعة (Jalajas, 1994) .

ويناقش الباحث هذه النتيجة فى ضوء الدراسات السابقة ، ويفترض أن عدم وجود دور معدل لتقدير الذات فى دراسته ربما يرجع إلى استخدامه لمقياس روزنبرج لتقدير الذات ، الذى يقيسه بشكل عام دون التعرض للمقاييس الفرعية ، ولكنه يشير إلى استخدام «شامير» للمقياس نفسه فى دراسته التى أظهرت وجود دور معدل لتقدير الذات . ويضيف تفسيراً آخر لعدم وجود تأثير معدل لتقدير الذات فى دراسته ، ويتمثل فى طبيعة العلاقة بين متغيرات دراسته . فالمفترض أن يقلل المتغير المعدل من تأثير المتغير المستقل على التابع ، أما فى دراسته فنجد أن المتغير الذى كان يفترض أن يعدل ، وهو تقدير الذات ، يتأثر بالمتغير المستقل (النجاح فى الوظيفة) ، علاوة على أن تأثير تقدير الذات على مقاييس الحالة العامة أكبر من تأثير النجاح فى الوظيفة على الحالة العامة . وبالتالي ربما طمس التأثير المباشر لتقدير الذات على حالة الرضا العامة ، أى تأثيرات معدلة له . ويتسق هذا الاستخلاص مع عبارة «ثارنو» و«هاركر» P. Tharenou and P. Harker ، كما يشير الباحث ، وهى : « يبدو أن تقدير الذات متغير منبئ مباشر أكثر منه معدل » (Ibid.) .

وتهدف دراسة « جونسون » و«فينسن» و«روس» Johnson, Vincent and Ross بشكل أساسى إلى تحديد ما إذا كان تقدير الذات المبالغ فيه دون أساس حقيقى (خداع الذات)⁽¹⁾ ، يمنح المزايا نفسها التى تمكن الفرد من مواجهة الآثار الضارة للمرور

(1) self-deception.

بأحداث شاقة ؛ إذ يتراكم التأثير الإيجابي لارتفاع تقدير الذات ، كما يشير الباحثون ، نتيجة للخبرات السابقة ، وبالتالي يركز مرتفعو تقدير الذات على الإنجازات السابقة عند مواجهة صعوبات ، وذلك لتحقيق الشعور بالثقة .. وضمينيا يعنى ذلك ، اعتماد تقدير الذات على تقييم الفرد الدقيق لقدراته .

ولكن بما أن ارتفاع تقدير الذات يعد سمة مرغوبة ، فقد يأتى تقرير الأفراد بارتفاع تقدير الذات غير مطابق للحقيقة . وفى هذا الإطار أجريت هذه الدراسة على ٣٦٦ طالبا ، ١٣٤ من الذكور ، و ٢٣٢ من الإناث ، من دارسى علم النفس بجامعة «مانيتوبا»^(١) بكندا ، قاموا بالإجابة عن مقياس خداع الذات^(٢) ، ومقياس روزنبرج لقياس تقدير الذات . وبعد مرور من ٨ إلى ١٤ أسبوعا ، تم الاتصال بالمبحوثين تليفونيا لسؤالهم عما إذا كانوا يوافقون على الاشتراك فى دراسة ترتبط بالتعلم ، وتتضمن مهام حل المشكلات . وافق على استكمال الدراسة ٨٠ مبحوثا فقط . وبعد إجراء التطبيق ، تم تحليل النتائج إحصائيا باستخدام الانحدار التدريجى المتعدد^(٣) ، وأشارت النتائج إلى الآتى : يؤثر تقدير الذات الزائف (خداع الذات) تأثيرا عكسيا على الأداء ، فيما يتعلق بمهام حل المشكلات ، عند المرور بخبرات فشل . بينما العكس هو الصحيح بالنسبة لتقدير الذات المرتفع الحقيقى . وبالتالي تخلص الدراسة إلى الآتى : عندما يواجه الفرد بخبرة الفشل ، يمنح تقدير الذات المرتفع (وليس خداع الذات) أفضل تأثير (Johnson, Vincent and Ross, 1997) .

على الرغم من أن الهدف الرئيسى لهذه الدراسة هو المقارنة بين دور ارتفاع تقدير الذات ارتفاعا حقيقيا ، والارتفاع المزيف أو خداع الذات ، فقد قام الباحثون باختبار

(1) manitoba.

(2) self-deception.

(3) hierarchical regression analysis.

دور تقدير الذات كمتغير معدل كهدف فرعى لتحقيق الهدف الرئيسى . وإن كانت مسألة خداع الذات تبعد قليلا عن هدف دراستنا ، فهى تمسها بصورة أو بأخرى . وقد تطرقنا إلى هذه النقطة فى دراسة سابقة أثناء مناقشة النتائج (جمعة ، ١٩٩٦) .

ربما يعد من الأخطاء إغفال مناقشة هذه القضية عند التعرض لموضوع قياس تقدير الذات . فعلى المستوى النظرى على الأقل ، يجب النظر إلى النتائج على أنها ربما تحمل المستويين : (الواقعى والزائف) . وإن كنا سنحاول الاستفاضة فى هذه النقطة فى الجزء الخاص بمناقشة النتائج فى الدراسة الحالية .

وفى إطار الدراسات التى تختبر الدور المعدل لتقدير الذات ، أجرى «فرناند» و«موتران» Fernandez and Mutran ، دراسة تتبعية أخرى لاختبار الدور المعدل لتقدير الذات فى العلاقة بين المشقة والأعراض الاكتئابية لدى كبار السن . اشتملت العينة على ٧٢٩ من العاملين طوال الوقت^(١) من الذكور والإناث ، تراوحت أعمارهم بين ٥٨ و ٦٤ عاما . استخدم مقياس مركز الدراسات الأبيديولوجية للاكتئاب ، ويتضمن سؤال المبحوثين عن شعورهم فيما يتعلق بـ ٢٠ عرضا خلال الأسبوع السابق على إجراء الدراسة ، ويكون على المبحوث أن يضع كل عرض على مقياس متدرج ، يبدأ من «صفر» الذى يعنى أن العرض يحدث نادرا أو لا يحدث ، حتى «٣» التى تعنى غالبا أو طوال الوقت .. بالإضافة إلى مقياس الأحداث الشاقة ، وتم اختيار بنوده من قائمة الأحداث الشاقة لـ «هولمز» و«راهى» ، واستخبار تغيرات الحياة الحديثة ، وتم الاختيار على أساس مدى ملائمة البنود لعينة كبار السن . أما بالنسبة لتقدير الذات ، فقد استخدم مقياس «روزنبرج» المكون من ١٠ بنود .

وباستخدام إجراءات الانحدار المتدرج ، أشارت النتائج إلى وجود تأثير أساسى وجوهري لتقدير الذات على الأعراض الاكتئابية ، فمع ارتفاع تقدير الذات تنخفض

(1) full-time workers.

الأعراض الاكتئابية ، كما يعدل تقدير الذات أيضا في العلاقة بين الأحداث الشاقة والأعراض الاكتئابية ، وإن كان يرجح الباحثان أن التأثير الأساسي على الأعراض الاكتئابية أوضح من التأثير المعدل (Fernandez and Mutran, 1998) .

ونختتم الدراسات التي اهتمت بدور تقدير الذات كمتغير معدل ، بدراسة «ريتر» ، و«هوبفول» ، و«لافين» ، و«كاميرون» ، و«هولسيزر» ، Ritter, Hobfoll, Lavin, Cameron and Hulsizer التي هدفت إلى استكشاف تأثير المشقة وتقدير الذات على المزاج الاكتئابى بين سيدات أمريكيات إفريقيات وأوروبيات عبر فترة حملهن . والافتراض أن السيدات اللاتي يخبرن عددا كبيرا من أحداث الحياة الشاقة قبل الولادة ، سيخبرن درجة عالية من المزاج الاكتئابى بعد الولادة ، مقارنات بالسيدات ، اللاتي يخبرن عددا قليلا من الأحداث الشاقة قبل الولادة . أما فيما يتصل بتقدير الذات ، فالافتراض أن لتقدير الذات تأثيرا مباشرا ومعدلا للمشقة على اكتئاب ما بعد الولادة . وبصفة خاصة يفترض أن السيدات مرتفعات تقدير الذات سيخبرن أعراضا اكتئابية قليلة ، بغض النظر عن الأحداث الشاقة المخبرة ، كما ستتأثرن سلبيا بدرجة أقل نتيجة المرور بالأحداث الشاقة غير المرغوبة ، مقارنة بالسيدات منخفضات تقدير الذات . اشتملت الدراسة على ١٩١ سيدة (١٣٩ من الأمريكيات الأوروبيات ، و ٥٢ من الأمريكيات الأفريقيات) تراوحت أعمارهن بين ١٧ و ٤٠ عاما . تمت مقابلتهن ثلاث مرات ، الأولى أثناء الشهور الثلاثة الثانية للحمل (ليس بعد الأسبوع الرابع والعشرين من الحمل) ، والثانية أثناء الشهور الثلاثة الأخيرة للحمل (من ٧ إلى ٩ أسابيع قبل موعد الولادة المتوقع) ، والمرة الثالثة من ٧ إلى ٩ أسابيع بعد الولادة . تم السؤال عن المتغيرات الديموجرافية وخصائص الأسرة . وبالنسبة للمقاييس ، تم قياس الأعراض الاكتئابية باستخدام قائمة «بك» للاكتئاب ، ومقياس شدة الأعراض الاكتئابية المشتق من الطبعة المنقحة لمقابلة المحكات التشخيصية البحتية . أما بالنسبة لأحداث الحياة الشاقة ، فقد تم السؤال عن وقوع ٥٠ حدثا عاما أو مرتبطا بالحمل

خلال السنة السابقة على إجراء الدراسة ، أو بعد المقابلة الأولى . أما فيما يتصل بتقدير الذات فقد استخدم مقياس «روزنبرج» .

وباستخدام التحليل العاملي ونموذج «ليسرل»^(١) لقياس التأثير الأساسى للأحداث الشاقة وتقدير الذات على اكتئاب ما بعد الولادة ، ثم نماذج الانحدار المتدرج لقياس التفاعل بين الأحداث الشاقة وتقدير الذات ، أشارت النتائج إلى وجود علاقة إيجابية بين الأحداث الشاقة واكتئاب ما بعد الولادة ، وعلاقة سلبية بين تقدير الذات واكتئاب ما بعد الولادة . أما فيما يتعلق بالتحليلات التى تهدف إلى اختبار إمكان تعديل تأثير الأحداث الشاقة على اكتئاب ما بعد الولادة بوساطة تقدير الذات ، فأشارت النتائج إلى عدم وجود تأثير معدل له ، فلم يتفاعل مع الأحداث الشاقة فى التأثير على اكتئاب ما بعد الولادة . وإن كان الباحثون يرون - كما نرى نحن أيضا - أن العينة المستخدمة فى هذه الدراسة صغيرة للدرجة التى لا تسمح بالثقة فى نتائج حساب التفاعلات الثلاثية المعقدة (ن = ١٩١) (Ritter, Hobfoll, Lavin, 1991, Cameron and Hulsizer, 2000) .

بعد استعراض الدراسات التى تناولت تقدير الذات كمتغير معدل للعلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها المختلفة ، تجدر الإشارة إلى بعض التعليقات والاستخلاصات على النحو التالى :

- ١ - تنوعت العينات المستخدمة فى الدراسات ، فاشتملت على أسر : (أزواج وزوجات)، وسيدات حوامل ، وتلاميذ وطلاب جامعيين ، وكبار السن . واقتصرت جميع الدراسات (فيما عدا دراسة «كرونكيت» و«موس») على استخدام مقياس «روزنبرج» لقياس تقدير الذات ، الذى أعد عام ١٩٦٥ لقياس تقدير الذات لدى فئة محددة ، وهى المراهقين والتلاميذ (Burns, 1979, p. 103) .

(1) lisrel.

٢ - أما فيما يتعلق بالدراسة الوحيدة التى استخدمت مقياساً آخر غير «روزنبرج» لقياس تقدير الذات ، وهى دراسة «كرونكيت» و«موس» ، فقد استخدمت مقياس «جو» و«هيلبرن» Gough and Heilbrun ، ولم توضح الدراسة أية بيانات عن صدق أو ثبات هذا المقياس .

٣ - استخدمت معظم الدراسات مقاييس محددة لقياس الأحداث الشاقة فيما عدا دراستين استخدمتا حالتين تعبران عن المشقة ولم تستخدم مقياساً محدداً ، وهما : حالة البطالة (Shamir, 1986) وحالة الولادة وما يصاحبها من مشكلات مثل الولادة القيصرية أو المبكرة أو الإجهاض (Hobfoll and Leiberhan, 1987) . والافتراض فى الحالتين أننا لسنا بحاجة إلى مقياس للأحداث الشاقة ؛ إذ إنهما تعبران عن حالة المشقة المخبرة نتيجة مرور المبحوثين بهما . ونحن نسجل الملحوظة ولا نستطيع أن نحكم حكماً نهائياً على هذا الإجراء ، فهل يجوز فى هذه الحالة الحديث عن دور معدل لتقدير الذات وفقاً لمفهوم التعديل الذى طرحناه فى المقدمة ؟ .

٤ - اتسمت معظم الدراسات بصغر حجم العينات ، مع استخدام أساليب إحصائية تتطلب قدراً من كبر حجم العينة ، وقد أشار بعض الباحثين إلى هذا القصور ، وعزوا غياب التأثير المعدل إلى هذا الصغر .

٥ - تنوع الأساليب الإحصائية المستخدمة فى الدراسات لاختبار الدور المعدل لتقدير الذات ، على سبيل المثال : تحليل التباين ، وتحليل الانحدار ، وتحليل الانحدار المعدل ، وتحليل الانحدار المتدرج ، وتحليل الانحدار المتعدد ، وربما أدى هذا إلى اختلاف نتائج الدراسات اختلافاً شكلياً أو ظاهرياً فقط ، يعزى إلى اختلاف الأسلوب الإحصائي المستخدم فقط ، ولا يعزى إلى اختلاف حقيقى .

٦ - انقسمت الدراسات بين مؤيد لوجود دور معدل لتقدير الذات فى العلاقة بين الأحداث الشاقة ونواتجها ، وبين معارض لوجود هذا الدور ، وأشارت دراسة واحدة إلى وجود دور معدل ، وإن كان الدور الأساسى هو الأهم فى تفسير العلاقة بين تقدير الذات والاكتئاب كأحد نواتج الأحداث الشاقة (Fernandez and Mutran, 1998) .

٧ - اهتمام جميع الدراسات بدور تقدير الذات كمتغير معدل فى العلاقة بين الأحداث الشاقة والمرضى الجسمى أو النفسى ، وإهمال دوره فى العلاقة بين المشقة والتعاطى .

وبناء على ذلك ، يمكن العودة إلى تلخيص مبررات إجراء الدراسة الحالية فيما يلى :

١ - افتقاد التراث المحلى والأجنبى على السواء - فى حدود علم الباحثة - لدراسات تهتم بالعلاقة بين الأحداث الشاقة والتعاطى لدى طلاب الجامعة ، مع إبراز الدور المعدل لتقدير الذات .

٢ - الحاجة إلى بدء تكوين تراث محلى يختص بدور «الذات» ، فقد أشار عدد من الباحثين - منذ فترة - فى التراث الأجنبى ، إلى أهمية أخذ طبيعة المجتمعات التى تدرس فيها الذات فى الحسبان من حيث بعد الفردية - الجماعية^(١) ، إذ بدأ التساؤل منذ عدة سنوات عن مدى أهمية متغير تقدير الذات عبر الثقافات المختلفة (Diener and Diener, 1995) . وإن كنا لن نقدم إجابات نهائية عن أسئلة من

(1) individualism-collectivism.

هذا النوع ، ولكننا نحاول إفراح الطريق لمزيد من الدراسات المحلية التى تسمح بتكوين تراث محلى (أمبيرقى ونظرى) ، يسهم فى تقديم إجابات .

٣ - أهمية دور متغير تقدير الذات بصفة عامة ، وفى العلاقة بين الأحداث الشاقة والتعاطى خاصة ، كما سبقت الإشارة فى الفصل الثانى لهذه الدراسة ، حيث يعد من بين المتغيرات التى تؤثر فى هذه العلاقة ، فضلا عن ارتباطه القوى بمعظم المتغيرات المعدلة الأخرى ، مثل مركز الضبط ، والصلابة ، وإدراك المساندة الاجتماعية من قبل الآخرين ، وأسلوب المواجهة ؛ إذ ينظر بعض الباحثين إلى تقدير الذات على أنه إحدى السمات التى تدرج تحت أرصدة المواجهة المختلفة (Cronkite and Moos, 1984) .

بعد الانتهاء من عرض الدراسات السابقة المتصلة بدراستنا الحالية ، وتقديم بعض التعليقات عليها ، ثم العودة إلى إبراز بعض مبررات إجراء الدراسة الحالية ، نعرض فى الفصل التالى للمنهج الذى اتبعناه لتحقيق أهداف الدراسة الحالية .